الدلالات الاجتماعية للأزياء الشعبية

موفق ويسي محمود*

مقدمة

الانسان يعيش في عالم من الاشارات... هذه حقيقة تجعلنا يقظين على الدوام لالتقاط ما يوجه الينا من «رسائل» مختلفة من مصادر تحاول أن تقول لنا شيئاً.

هذه الاشارات تنبثق أمامنا في كل شيء... لغات كثيرة غير صوتية تجعلنا نعيش في ضجيج آخر، ضجيج صامت.

فكما تقول جوليا كرستيفا «فالتحديد الرئيس الذي يؤثر في أية ممارسة اجتماعية يكمن في حقيقة انه يرمز... أي انه يستخدم مثل اللغة، بعبارة اخرى لا أحد يتكلم فقط فكل حدث كلامي يشمل نقل الرسائل خلال «لغات» الاشارة البدنية والوقفة والملبس وتصفيفه الشعر والعطر والنبر والسياق الاجتماعي... الخ»[1]

الملابس واحدة من مصادر الاشارات، والازياء الشعبية بنوع خاص غنية جداً بمدلولاتها، ويوحي لنا تنوعها الهائل بأن هناك الكثير من «القول» يتجاوز الحاجة التي فرضتها الطبيعة على الانسان لاتخاذ الملابس، لا بل أن التأكيدات الشعبية على انواع معينة من الازياء والالوان تفصح عن ارتباطها بقيم وعادات وسلوكيات ذات طبيعة ثقافية.

وفي الصفحات التالية محاولة لتتبع هذه الفكرة، فكرة التنوع الكبير في الازياء بين الشعوب والأقاليم، هذا التنوع الذي يبدو أنه يتجه نحو الانحسار امام طغيان انواع موحدة من الازياء- على الاقل في خطوطها العامة- والتعرف في ذات الوقت على بعض الدلالات الاجتماعية للازياء الشعبية والتغير الذي لحق بهذه الدلالات بوصفها صورة منعكسة لواقع ثقافي واجتماعي متغير.

تحديد مشكلة البحث

الازياء الشعبية واحدة من وسائل التعبير الثقافي لأي مجتمع، فهي ذات دلالات يمكن فهمها في ضوء التراث من قبل كافة المشتركين فيه، وهذا يعني ارتباط الازياء

---

* قسم الاجتماع / كلية الآداب

الشعبية بعناصر الثقافة في المجتمع وهي بسبب طبيعتها المادية الظاهرة يمكن أن تعبر بوضوح اكبر عن ذلك القطاع اللامرئي من الثقافة ، عن القيم والمعتقدات والافكار، وقد اوضحت لنا الدراسات الأنثروبولوجية وجود هذا الارتباط بين الأزياء والوانها وبين ما يختزنه المجتمع تحت سطح الملاحظة العابرة.

هذه الأهمية للأزياء الشعبية تتعرض اليوم لخطر الاقصاء من الميدان الاجتماعي والثقافي بفعل التغيرات السريعة التي تشهدها المجتمعات. وتحت ضغوط متعددة ايديولوجية ومادية فان الكثير من رموز الازياء ودلالاتها ستختفي مفسحة المجال بالطبع لرموز ودلالات جديدة ذات مضامين مختلفة.

هدف البحث

يسعى هذا البحث الى تسجيل صورة عامة للدلالات الاجتماعية للازياء الشعبية مع تأشير تأثيرات التغيرات الثقافية عليها.

منهج البحث

يستخدم هذا البحث المنهج الوصفي التحليلي في محاولة استكشاف ماوراء الصفة الظاهرية ومعرفة الدلالات الاجتماعية للمادة الاثنوغرافية.

المبحث الاول
دلالات الازياء.... تأريخياً

ترتبط الفكرة العامة الاولىٰ لنشأة الملابس بالخجل من العري ، وقد وردت اشارة اليها في القرآن الكريم في سورة الاعراف «... فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوآتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة.»[٢] ونجد مثيلاً لهذا في العهد القديم في سفر التكوين اذ بعد ان اكلت حواء من شجرة معرفة الخير والشر «فانفتحت اعينهما فعلما انهما عريانان فخاطا من ورق التين وصنعا لهما منه مآزر».[٣]

وهناك فكرة ثانية ترجع نشأة اللباس الى اغراض حماية الجسم من تأثيرات الجو، وهي فكرة شائعة ايضاً.

ولكن الانثروبولوجيون نظروا للموضوع من زاوية اخرى ، فعند جيمس فريزر ترتبط فكرة اللباس بالسحر، اذ الهدف من تغطية اجزاء من الجسم هو لاتقاء العين الشريرة.[٤]

في حين يرىٰ وستر مارك ان «اللباس احدى الوسائل البدائية لابراز الجاذبية وترجع اصولها اساساً الى الدوافع الغزلية ، ويحاول وستر مارك ان يدلل على فكرته بالتزين في بعض المناسبات الخاصة مثل الرقص.[٥]

آراء الانثروبولوجين هذه تنقلنا قدماً الى موضوع وجود دلالات للأزياء تتعدى المنفعة المباشرة لها وتربطها بمدلولات يمكن النسج على منوالها ، فيكون وفق ذلك للازياء مدلول ما منذ أن عرف الانسان الاول فائدة ان يضع جلداً اضافياً اضافياً فوق جلده ، ولعله كان يختار جلوداً لحيوانات بعينها ليلبسها فتمنحه قوتها من خلال انتقال قوة الحيوان عبر جلده الى الانسان الذي يلبسه ، اذ أن طبيعة المعتقدات السحرية ترى ان الاشياء التي كانت متصلة ببعضها تحافظ على هذا الاتصال بعد انفصالها وهو ما يعرف باسم (السحر المعدي) .[٦]

وقد يكون هذا أصل المعتقدات الشعبية التي تفترض قوة خارقة لبعض الثياب فمتى لبسها المرء حصنته ضد الامراض والاعداء مثل جلد الاسد والذئب والغزال .[٧]

ولعله من المفيد الاشارة هنا الى أن القدماء اعتقدوا أن اللباس هو المرء نفسه او هو على الأقل قسم منه ، وأن في تبديل اللباس تعبيراً عن تبديل الشخصية ، واذا ما تبادل صديقان ثيابهما كان ذلك دلالة على انهما تبادلا نفسيهما .[٨]

لهذا فضل الانسان أن يلبس جلود الحيوانات الكاسرة كالاسود والنمور والدببة ، كما يمكن ان «تشير» هذه الملابس الى قوة الفرد وبأسه اذا استطاع قتل الحيوان المفترس وسلبه جلده ، وفي هذا كانت تكمن القوة السحرية لانتقال قوة الحيوان اذ ان الآخرين كانوا «يحترمون» هذه القوة عندما «يفهمون» الأشارة .

وقد بقيت للازياء اهميتها ودلالاتها المختلفة على مر عصور الانسان «فهناك بلا شك (نظام لغوي) للعطر والازياء»[٩] وارتبطت الازياء الشعبية بالنسبة لاختيار الوانها واساليب تفصيلها وقواعد ارتدائها واستعمالاتها والزخارف والنقوش التي تطرز عليها بممارسات ومعتقدات شعبية .... بعض هذه الدلالات والرموز والمعتقدات التي ترتبط بالثياب يتصل باغراض شعائرية او سحرية او علاجية مختلفة ويؤدي التشاؤم والتفاؤل ومنع الحسد واغراض الشفاء دوراً كثيراً بالنسبة لها[١٠]

وفضلاً عن ذلك كله كان للازياء دلالات اجتماعية ترتبط بالمركز الاجتماعي والمهنة والانتماء القبلي والقومي والديني ، فالازياء والوانها كانت دائما رايات للجماعات . تتساوى في ذلك الجماعات الصغيرة والكبيرة .

فالالوان مثلاً ذات علاقة وثيقة بكثير من الجوانب الثقافية ، فهناك الوان مفضلة والوان ممقوتة باختلاف البيئات والشعوب وباختلاف السن والجنس ، أو انها ترتبط بالمناسبات كاللون الاسود الذي يرتبط بالحداد والحزن (في بعض المجتمعات يدل اللون الابيض على الحداد) أو يكون لها دلالات تميزية ، فمثلاً اللون الابيض كان شعار بني

أمية واللون الاسود شعار بني العباس في حين أن اللون الاخضر شعار العلويين ، ولا يقتصر استخدام ترميز هذا اللون على الرايات التي يرفعونها وانما يمتد ليشمل ملابسهم التي يؤكدون من خلال الوانها انتماءهم للجماعة ، ويذكر الصابي في كتاب (رسوم دار الخلافة) «انه كان العباسيون من ارباب المراتب زيهم السواد بالاقبية المولدة والخفاف ولهم منازل في شد المناطق والسيوف وتقلدها .»[١١]

ولا زالت العمامة الخضراء تميز الاشراف من سلالة آل بيت النبي (ص) . كما ميزت الالوان خلال الفترات التاريخية السابقة بين الافراد قوميا ودينيا فقد كانت «جباب اليهود سوداء ، والاقباط حنطية ، واهل السوس زرقاء ، ويلبس العرب من سكان المدن الالبسة البيضاء فيما عدا تجار العبيد الذين تكون البستهم الخارجية حمراء قبيحة .[١٢]

ولايزال الناس الذين يعتقدون في أثر الكواكب على حياة الانسان يبخرون لكل كوكب بخوره الخاص ويلبسون في يومه المميز به من ايام الاسبوع ملابس تتفق مع لونه . فيوم السبت يبخرون لزحل ويلبسون الثوب الاغبر والاسود ، ويوم الثلاثاء يبخرون للمريخ ويلبسون الاحمر والاصفر، ويوم الجمعة يبخرون للزهرة ، ويلبسون الثوب الابيض والاخضر ولون الورد الممتزج .[١٣]

وإضافة الى الالوان فإن لشكل الزي ونوع القماش المستعمل في خياطته وطريقة توشيته وتوشيحه وتذييله دلالات على الموقع الاجتماعي للفرد ومعتقده الديني ومهنته .. فللاغنياء ملابسهم الخاصة وكذلك للفقراء ومتوسطي الحال والزهاد «فالكاهن لايلبس المصبغ والعراف لايدع تذييل قميصه وسحب ردائه ، وكان لحرائر النساء زي ولكل مملوك زي ، ولذوات الرايات زي ، وللاماء زي» .[١٤]

وهكذا لكل فئة من الناس زي يعرف بها وتعرف به ، ومن خلال تتبع تطور الملابس العربية في العهود السالفة نجد انه كانت هناك ملابس خاصة للخلفاء ، واخرى للوزراء وثالثة للافراد والقواد وكذلك ملابس خاصة لكل من القضاة والفقهاء والكتاب والخطباء والمؤذنين والشعراء واصحاب الجيوش وولاة الحرب كما للحرس والتجار والخدم ، كما كانت هناك ثياب للحرب واخرى للمناسبات الدينية وثالثة للمنادمة .

واستخدم الدراويش لانفسهم شارة هي عبارة عن جلد نعجة على اكتافهم او خرقة يخلعها الشيخ على المريد وتعني ان المريد أصبح ذو شخصية جديدة وان هذه «الخرقة» خلقت وحدة روحية بين المريد وشيخه .[١٥]

وتعبير «الصوفية» ذاته لعله مأخوذ من الصوف الذي كان رمزاً للخشونة وعند الآشوريين كانت الملابس الخشنة مخصصة للمذنبين وطالبي التوبة[١٦] .

وفي موقف مشابه يقول انجلوس سيلسيوس أحد كبار الشعراء الصوفية المسيحيين من القرن السابع عشر «من أحب دخول الجنة فعليه ان يلبس حريراً أبيض في روحه وبدنه». (١٧)

ومن الجدير بالملاحظة في هذا المقام ان بعض فرق الدراويش وطوائفها تنتسب بالتسمية الى أزياء معينة أو البسة خاصة ، فثمة طريقة اسمها «الطيلسان» وطريقة اسمها «الرداء» واخرى اسمها «المئزر». (١٨)

ولعل في هذا دلالة على استخدام الأزياء والألبسة بوصفها ذات دلالات اجتماعية او فكرية ، او بوصفها علامات فارقة لجماعات اجتماعية.

وقد كانت العباءة من ألبسة الرجال ، ولكنها لم تكن في زمن الخلفاء الراشدين من فاخر اللباس ولا لباس سراة القوم ، وكان ابو بكر الصديق (رض) يلبس العباءة لزهده في الدنيا وتخليه عن فخامتها.

واذن كان اللباس دوما يعكس حالة مرتديه وموقعه الاجتماعي وقد تطور بتطور المجتمعات الانسانية وتعقدت اشاراته وزادت متعلقاته ومتطلباته.

وقد لاحظنا من خلال الاستعراض التأريخي المبتسر أنه كان للأزياء دائماً اشياء تقولها ، وكان الناس يفهمون هذه الاشياء ، فنظرة واحدة الى الخليفة كانت كافية ليعرف الناس انه ذاهب الى الصيد والقنص لانه يرتدي ملابسها. واذا رأينا رجلاً بجلباب موشىً أدركنا انه من علية القوم فان كان يضع عمامة خضراء عرفنا انه من آل البيت.

اي ان الأزياء شاشات عرض لواقع حال من في داخلها ، أو لافتات تصرح بما يريد لابسها للناس ان يعرفوه عنه.

المبحث الثاني

ثوابت .. ومتغيرات

دلالات الأزياء هذه والتي تعرفنا على بعض يسير منها ، ماذا بقي منها الآن .. وهل لازالت الازياء الشعبية تؤدي ذات ادوارها؟

من الواضح ان هذه الدلالات جزء من الازياء ، لذا قد تتغير بعض معانيها او تتحور وتدل على معانٍ جديدة ولكنها لاتمحى.

فالعباءة التي كانت تمثل الزهد في الدنيا أصبحت دلالة على الوجاهة ولاشك ان تغييرات اخرى حدثت في هذا المجال .. وهذا ماسنحاول تقصيه فيما نجده حولنا من رموز واشارات ودلالات للازياء.

لاشك ابتداءاً ان بقيت للالوان مدلولاتها كما كانت سابقاً ، فالأخضر لازال يدل على الانتساب الى آل البيت والبيوتات الدينية ويتمثل على الأغلب بعمامة خضراء ، وراية بني العباس السوداء اقتصرت في الغالب على الدلالة على الحزن .

وبشكل عام تدل الالوان الغامقة على الرزانة والاحترام فيما تدل الالوان الفاقعة والصارخة على الطيش والخفة .

ويلبس الشباب من كلا الجنسين ملابس بالوان متنوعة وقصات مختلفة كنوع من الدلالة على الحداثة او الاعتقاد بأفكار جديدة او مستوردة اوكدليل على رفض ما متعارف عليه .

إلا ان القاعدة الأساسية تبقىٰ بانك «بقدر ما تعتني بمظهرك الخارجي فأنك تخدم وتستقبل بتعظيم وتجد طريقاً الى بيوت الكبار» .(١٩)

كما أن شكل الزي الذي ترتديه يمكن أن يضعك او يدل علىٰ مركز اجتماعي معين ، فان لبست زبوناً وسترة ووضعت على رأسك غترة وعقالاً وعلى كتفيك عباءة مطرزة فأنت «شيخ» أو متنفذ في العشيرة وستعامل على هذا الأساس وستنادى بـ «يامحفوظ» .

وان كان لباسك اوربياً بربطة عنق ونظارات ، ولابأس من اضافة حقيبة يد دبلوماسية ، فان الناس سيبدأون تعاملهم معك من حيث انك رجل متعلم او مثقف ويعبرون عن ذلك بلقب «استاذ» .

وفي العراق يمكن ان نجد قدراً كبيراً من دلالات الأزياء هذه بسبب تنوع الثقافات الفرعية من جهة وبسبب التغيرات السريعة التي أدخلت طرزاً جديدة من الملبس أضطرت للتعايش مع الطرز القديمة ، لذا نجد اللباس التقليدي موجود جنباً الى جنب مع آخر صيحات المودة .

هذا التنوع أوجد امكانية كبيرة جداً لظهور تنوعات في الأزياء وفي دلالاتها فالأزياء العربية تختلف عن الأزياء الكردية وهذه تختلف عن ازياء اليزيدية التي بدورها لاتشبه ازياء التركمان .

ولباس المدن يختلف عن لباس الريف الذي يختلف عن لباس البادية ، وهناك تنوعات كثيرة تدل على الاختلاف في الديانة (مقارنة بين لباس رجل دين مسلم ورجل دين مسيحي) أو على المهنة او على الاختلافات الطائفية .

وحتى داخل التقسيمات الأساسية للأزياء نجد تقسيمات فرعية اكثر دقة تحتاج الى معرفة اكبر بخصائص الجماعات واماكن عيشها وعلاقاتها مع غيرها من اجل التعرف على مدلولات ازيائها ، فمثلاً داخل الازياء الكردية هناك «خطوط ازياء» فرعية تدل على

الفوارق الدقيقة بين الاكراد أنفسهم. فالزي الكردي في السليمانية يختلف عن الزي الكردي في دهوك في اتساع السروال وفي شكل «اللفة» غطاء الرأس وفي طريقة شد الخزام.

فضلاً عن الدلالات الاخرى لنوع القماش والوشي الذي يضاف اليه، فهذه ملابس «الاغا» ونساء بيته وهذه ملابس لعامة الناس ونسائهم.

ومن الأمثلة الفريدة في موضوعنا الأزياء الشعبية الخاصة باليزيدية وهؤلاء يتوزعون على ثلاث مناطق رئيسة هي سنجار والشيخان وبعشيقة وعلى الرغم من كونهم ابناء ملة واحدة إلا اننا نلاحظ ان يزيدية بعشيقة يختلفون في ملابسهم عن يزيدية سنجار ويشابهون المسيحيين والمسلمين الذين يعايشونهم في منطقة بعشيقة، فبدلاً من الرداء الابيض الذي ينسدل على سروال ابيض وفوقه سترة من اللباد وغطاء رأس من نفس النوع، وهذا هو زي الرجال، نجد اليزيديين في بعشيقة يكتفون بسوال عادي عريض من اعلاه ضيق عند فتحة القدمين وهو النوع الشائع لدى اصحاب المهن في الموصل، ويرتدون فوقه قميصاً عادياً وسترة أوربية وقد يضعون غترة وعقالاً عربيين.

ونجد بين العشائر العربية دلالات مشابهة، فهناك فروق بين اليشماغ والغترة، فحين يكثر الاول في الجنوب يكثر استخدام الثانية في الشمال والعقال الغليظ نجده في الجنوب في حين نجد العقال الرفيع بين بغداد والموصل.

وتدل طريقة ارتداء الزي نفسها على موقع صاحبها، فاليشماغ يلف بطرق عديدة غير ان اكثر لفاته احتراماً هي المعروفة باللفة ذات الطية الواحدة[٢٠] «وللباس الرأس عند المسلمين اهمية دينية، اذ يجب أن يغطىٰ الرأس في جميع المناسبات الرسمية، والعمامة ارفع البسة الرأس واكثرها محافظة. ويجب ان تكون في افضل اشكالها كبيرة بحيث اذا نشرت غطت جسم صاحبها... ولحجم العمامة ولونها معان خاصة بعضها دقيق يرمز الى المحافظة أو الى بعض الخصائص الشخصية والمكانة الاجتماعية...»[٢١]

وهكذا يمكننا ان نجد العشرات بل المئات من الاختلافات الطفيفة والكبيرة لو إمتلكنا معرفة واسعة ودراية بالأنواع المختلفة للأزياء حسب القوميات والأنحدارات الأثنية، ففي مجتمع كمدينة الموصل مثلاً بوصفها مركزاً لتجمع جماعات مختلفة يمكن تمييز الافراد بحسب قومياتهم ودياناتهم وحتى مناطق سكناهم من البستهم الشعبية.

ومن البديهي ان هذا الامر لاينطبق على العراق فقط، وقد ذكر آنوليتمان في تقرير له عن ثقافة المصريين فصلاً عن الأزياء قسم فيه ازياءهم تقسيماً راعىٰ فيه البعد الاجتماعي والبعد الجغرافي فذكر ان هناك:[٢٢]

١ – ملابس الاغنياء.
٢ – ملابس اعيان أهل البلد الوطنيين.
٣ – ملابس الصناع.
٤ – ملابس الفقراء.
٥ ملابس الفلاحين.

كما أوضحت دراسة عن «الزار» في مصر أن «للاسياد» (وهم الجان والعفاريت) صفات محددة ، وهذه الصفات يعبر عنها بان «كل واحد من الأسياد يتطلب نوعاً معيناً من الملابس يتماشىٰ مع مكانته وصفته» .(٢٣)

ولازالت اشكال الأزياء الشعبية وطرق تفصيلها ترتبط بعقائد شعبية وطقوس معينة ، وكذلك الحال بالنسبة الى الزخارف التي تطرز عليها اذ يغلب ان تكون لغرض معين كمنع الحسد او الرغبة في جلب الخير او ضمان الاكثار.(٢٤)

الأزياء الشعبية اذن جزء من الموروث الثقافي المتمثل بانتاج مادي وفني يعبر عن نفسه باشكال شتىٰ ويفصح بالمقابل عن عمق المعتقدات الشعبية وقوى الضبط السلوكي . لذا نراها تجد مكانا في عالم الأساطير والخرافات والخيال الشعبي ، فالغرض ليس كساء الأبدان فقط ولكن لها جانب آخر يرتبط بعلاقات الانسان مع الانسان وعلاقاته مع البيئة من حوله .

ويمكننا في النهاية ان نستعرض الكثير جداً من الفروقات والتشابهات التي تعرفنا على دلالات لغة الازياء وتجعلنا نفهم هذه التشابهات والفروقات بوصفها معبرة عن الوحدة او التمايز.

المبحث الثالث

ماوراء الأزياء الشعبية

استعرضنا فيما سبق بعض الدلالات الأجتماعية والأشارات الفكرية للازياء الشعبية ، وسنحاول فيما يأتي التعرف على ما يكمن خلف الأزياء الشعبية من مبررات لكل هذا التنوع .

في المقام الاول ترتبط الأزياء بما يريد الافراد والجماعات التعبير عنه فتستخدم وسيلة اتصال تنقل الى الآخرين اشارات تؤكد الانتماء او تؤكد التمايز. وكلما تنوعت الجماعات تنوعت ازياؤها وهذا يعني ان الزي الشعبي اعلان ذو اتجاهين يؤكد في احدهما انتماء الفرد الى جماعة معينة ، ويؤكد في الثاني اختلافه عن الجماعات الأخرى .

في نظام الطوائف الحرفية هناك زي للحدادين يختلف عن زي القصابين وزي الخزافين يختلف يختلف عن زي النجارين ، اي انه كلما كانت المهنة نتاجاً «فردياً» كانت للزي دلالة اجتماعية تعلن التمايز ، ولكن التغيرات التي حدثت في المجتمع وغيرت انماط الانتاج من يدوية الى آلية والغت التخصص الحرفي بحيث اصبح العامل فرداً في مجموعة الانتاج المتماثلة جعلت البدلة الزرقاء علامة عمال المصانع على اختلاف انواعها ، اذ انتقلت المهارة الحقيقية من الانسان الى الآلة .

وعلى مستوى المجتمع الكبير وخصوصاً المجتمعات ذات التنوع الثقافي ، تكون القاعدة الاساسية في طلب التشابه بين اعضاء المجموعة الثقافية الواحدة مع الحاجة الى تمييز المجموعة عن غيرها برموز ذات معنىٰ تؤكد خصائصهم القومية او الثقافية المنحدرة من تأريخهم فيعملون على تأكيد الحفاظ على هذه الخصائص بان يسرحوا شعورهم بطريقة خاصة ويلبسون ملابس مميزة ويتصرفون بشكل مميز.

فاذا سرت في سوق من الأسواق لم يصعب عليك ان تميز كل فرد من الأفراد الذين تقابلهم اذا كنت ملماً برموزهم لأنهم يعمدون الىٰ تمييز انفسهم حتى اذا عرفت من هم امكنك أن تعرف بالضبط ما يمكنك أن تنتظره منهم وكيف تعاملهم فتتم العلاقات الانسانية في الأمكنة المزدحمة بيسر ومن غير احتكاك.[٢٥]

وهكذا يمكن معرفة كل مانحتاج معرفته عن الفرد لبدء التعامل معه بلمحة واحدة ، كأن نعرف قوميته ولغته ودينه وحرفته ومقدار ثروته . وقبل الاقتراب منه فنعرف كيف يجب ان نتصرف معه وأي سلوك نتوقع منه . وهذه الرموز المميزة تسهل عملية التفاعل الأجتماعي في مجتمع متنوع فهي توفر على الناس الأسئلة المحرجة والصمت أو الغضب .

ولما كان التغير قانوناً يمس المجتمعات بعصاه السحرية فيحدث تحولات في تفكير الناس وفي مواقفهم واتجاهاتهم وقيمهم بفعل عوامل التغير الداخلية وعوامل الاحتكاك الحضاري مما يزيد من اواصر التقارب بين الناس ويؤدي الى اضمحلال الفروق الثقافية بفضل شيوع أستخدامات جديدة للتكنولوجيا أدت الى تغير في الأدوار وأصبح الموقف والدور والمكانة اكثر أرتباطاً بقيم جديدة لاعلاقة لها بالأصل والمولد والديانة وغيرها الامر الذي قلل من حساسيات التصادم .

وبفضل انتشار التعليم والتأثير الواسع لوسائل الأتصال الجماهيري التي يتعرض لها الجميع حلت مفاهيم داعية الى الأنسجام بدل الأختلاف فالمجتمع الحديث «بحاجة الى رجال يتعاونون في يسر في مجموعات كبيرة ، أذواقهم متحدة متساوية ومن السهل التأثير فيهم ، فهناك ضرورة للتجانس وهي سلطة جديدة معنوية وغير شخصية» .[٢٦]

وهكذا يبدأ التخلي التدريجي عن رموز الأزياء التي تمثل علامات الحدود بين الافراد ويحل محلها لباس موحد حديث يجعل من البديهي التفكير بان الرمز الجديد يعبر عن إمكانية حصول التفاعل الأجتماعي بين الأفراد بغض النظر عن موروثاتهم القبلية والدينية والأجتماعية.

وهكذا كلما أزدادت مساحة العقلية الداعية الى المساواة والديمقراطية والتجانس ضعفت الحاجة الى اعلان التمايز وأقتربت الملابس من التماثل.

الهوامش

(١) هوكز، ترنس، البنيوية وعلم الأشارة، ترجمة مجيد الماشطة، دار الشؤون الثقافية، وزارة الثقافة والاعلام، بغداد، ١٩٨٦. ص ١١٥.

(٢) سورة الأعراف، آية ٢٢.

(٣) سفر التكوين، فصل ٣، ٨.

(٤) العتيل، فوزي، بين الفولكلور والثقافة الشعبية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ١٩٧٨، ص ٣٣١.

(٥) نفس المصدر والصفحة.

(٦) النوري، قيس، المدخل الى علم الانسان، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، دار الكتب للطباعة والنشر، موصل، ١٩٨٢، ص ٢٧٦.

(٧) الخادم، سعد، الأزياء الشعبية، المكتبة الثقافية، وزارة الثقافة والأرشاد القومي، مطابع دار القلم، القاهرة، مصر، ١٩٦١، ص١٠٠ – ١٠١.

(٨) الآلوسي، عادل «الأزياء الصوفية ومدلولاتها الفكرية»، مجلة التراث الشعبي، وزارة الثقافة والاعلام، بغداد، العدد ١٠، ١٩٧٠، ص ٥٠.

(٩) هوكز، ترنس، مصدر سابق، ص ١٢٣.

(١٠) العتيل، فوزي، مصدر سابق، ص ٣٤١.

(١١) صبيحة رشيد رشدي، الملابس العربية وتطورها في العهود الأسلامية، مطبعة علاء، بغداد، ١٩٨١، ص ٩٠.

(١٢) كون، كارلتون، القافلة، (قصة الشرق الأوسط)، ترجمة برهان دجاني، دار الثقافة، بيروت، ١٩٥٩، ص٢٤١.

(١٣) الخادم، سعد، مصدر سابق، ص٩٨.

(١٤) صبيحة رشيد، مصدر سابق، ص ٩١.

(١٥) الآلوسي، عادل، مصدر سابق، ص ٥٥.

(١٦) نفس المصدر، ص ٥٦.

(١٧) الآلوسي، عادل، المصدر السابق، ص ٥٠.

(١٨) نفس المصدر، ص ٥٥.

(١٩) الجادر، وليد، الملابس الشعبية في العراق، المؤسسة العامة للصحافة والطباعة، سلسلة فنون رقم (١)، بغداد، بدون تاريخ، ص٣٣.

(٢٠) الجادر، وليد، مصدر سابق، ص ١٣٨.

(٢١) كون، كارلتون، مصدر سابق، ص ٢٣٩.

(٢٢) مجموعة من أساتذة علم الاجتماع، دراسات في الأجتماع والانثروبولوجيا، دار المعارف مصر، ١٩٧٥، ص ٣٧٢ – ٣٧٣.

(٢٣) نفس المصدر السابق، ص ٤١٦.
(٢٤) الخادم، مصدر سابق، ص ٣.
(٢٥) كون، كارلتون، مصدر سابق، ص ٢٢١ – ٢٢٢.
(٢٦) فروم، أريك، المجتمع السليم، تعريب محمود محمود، مكتبة الانجلو المصرية القاهرة، ١٩٦٠، ص ٧٩.

المصادر

١ – القرآن الكريم.
٢ – الكتاب المقدس «العهد القديم».
٣ – الآلوسي، عادل «الأزياء الصوفية ومدلولاتها الفكرية» [مجلة التراث الشعبي] وزارة الثقافة والاعلام، بغداد، العدد ١٠، ١٩٧٣.
٤ – الجادر، وليد [الملابس الشعبية في العراق] المؤسسة العامة للصحافة والطباعة، سلسلة فنون رقم (١)، بغداد، بدون تاريخ.
٥ – الخادم، سعد [الأزياء الشعبية] المكتبة الثقافية، وزارة الثقافة والأرشاد القومي، مطابع دار القلم، القاهرة، ١٩٦١.
٦ – رشدي، صبيحة رشيد [الملابس العربية وتطورها في العهود الأسلامية] مطبعة علاء، بغداد، ١٩٨١.
٧ – العنتيل، فوزي [بين الفولكلور والثقافة الشعبية] الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ١٩٧٨.
٨ – فروم، أريك [المجتمع السليم] تعريب محمود محمود، مكتبة الانجلو المصرية القاهرة، ١٩٦٠.
٩ – كون، كارلتون [القافلة] ترجمة برهان دجاني، دار الثقافة، بيروت، ١٩٥٩.
١٠ – مجموعة من اساتذة علم الأجتماع [دراسات في علم الأجتماع والانثروبولوجيا] دار المعارف، مصر، ١٩٧٥.
١١ – هوكز، ترنس [البنيوية وعلم الأشارة] ترجمة مجيد الماشطة، دار الشؤون الثقافية، وزارة الثقافة والاعلام بغداد، ١٩٨٦.